

أثر التلوينات الصوتية في التواصل اللغوي
أثر التقديم والتأخير وأثر التنغيم أنموذجين
دراسة صوتية وظيفية في إطار التشكيل الصوتي

الطالب: بن صحراوي بن يحيى
إشراف الأستاذ الدكتور: عباس محمد
جامعة تلمسان - الجزائر

تستثمر التلوينات الصوتية تفصيلات المستوى النحوي بكل أطره وتعقيداته، فتعالج الأساس البنيوي للجملة، وما يلحق هذا الأساس من فنيات الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والبساطة والتعقيد، وغير ذلك بما يخدم في نهاية المطاف المستوى الأعلى وهو الأسلوب، لتبقى الدلالة وما يعانقها من تنغيم وإيقاع جمالي جانباً قاراً يلزم كلّ تلوين يفرضه التأثير والتأثر الصوتي، أو يعتمد المرسل الناطق عن قصد وغاية. وفيما يستقبل من هذه الدراسة، سأصططلع على المستوى التركيبي بإبراز وظيفة التقديم والتأخير في معالجة الأساس البنيوي للجملة داخل سياق التواصل اللغوي من خلال نماذج مختارة، أما على مستوى الأسلوب فسندمج المظاهر الجمالية والبلاغية المتولدة عن معانقة التنغيم لبعض النماذج التواصلية.

الكلمات المفتاحية: الصوتيات؛ التلوين؛ التنغم؛ التواصل اللغوي؛ المستوى النحوي؛ الجملة؛ الإيقاع؛ التقديم؛ التأخير.

The Effect of Sound Coloring on Linguistic Communication
The Effect of Forwardness, Backwardness and Toning as two Models
Functional Acoustic Study in the Phonetic Formation Framework

Abstract: Acoustic coloring invests grammatical level details with all its frameworks and complexities. It deals with the structural basis of the sentence, and what follows this basis of the techniques of mentioning and deletion, forwardness and backwardness, simplicity and complexity, and other things that ultimately serve the higher level which is the style, so that the significance and what embraces it of aesthetic rhythm and toning remain a stable aspect aside accompanying every allophonic realization imposed by acoustic influence and impact, or intentionally and purposefully approved by the speaker. What entails from this study, the structural level will be undertaken by highlighting forwardness and backwardness in processing structural basis of the sentence within the context of linguistic communication through selected samples. Yet at the style level, aesthetic and

تاريخ تسليم البحث: 23 نوفمبر 2016.

تاريخ قبول البحث: 25 فبراير 2017.

أثر التلوين بالصوتية في التواصل اللغوي

rhetical manifestations, generated by toning embracement for some communicative models, will be glimpsed.

Keywords: Acoustic, coloring, toning, linguistic communication, structural level, sentence, rhythm, forwardness, backwardness.

تستثمر التلوينات الصوتية تفصيلات المستوى النحوي بكل أطره وتعقيداته، فتعالج الأساس البنيوي للجملة، وما يلحق هذا الأساس من فنيات الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والبساطة والتعقيد، وغير ذلك بما يخدم في نهاية المطاف المستوى الأعلى وهو الأسلوب، لتبقى الدلالة وما يعانقها من تنغيم وإيقاع جمالي جانباً قاراً يلازم كل تلوين يفرضه التأثير والتأثر الصوتي، أو يعتمد المرسل الناطق عن قصد وغاية.

لهذا أولت السيميائيات الحديثة أهمية لشكل المعنى لما له من تأثير في السيرورة التواصلية. وذهبت الصوتيات الوظيفية مذاهباً محايداً في مقارنة شكل المحتوى قصد دراسة المعنى دراسة موضوعية، فلا ينبغي تلقي المثال الآتي: كيف تعصي والديك؟ على أنه استفهام يتطلب جواباً، بل هو استفهام يفيد الإنكار من طرف المتكلم، وتوبيخ موجه للمتلقى لا ينصاع له إلا بمدى فهمه إثر التنغيم المناسب.

رأينا نظرياً بعضاً من قيمة التلوين الصوتي - الجمالية والدلالية- في التواصل اللغوي سواء أكانت على نحو تبادلي مقصود جزاء انتقاء المرسل ما يخدم رسالته من أصوات، أو كلمات، أو جمل، أو على نحو تبادلي غير مقصود يفرضه التأثير الصوتي أو مقتضى الحال، ويضاف إلى ذلك الآثار النفسية التي تتبع التلوينات الصوتية، فعلى مستوى الإرسال، ما يخفي في قرارة نفس المتكلم يخرج الصوت، وإضافة صفة النبر والتنغيم وغيرها من التلوينات تومئ للمعنى والغرض المقصود. أما على مستوى الاستقبال فإن مراوحة الرسالة بين تلوين صوتي وآخر يدفع المثل عن السامع، «وكلماً كان الكلام مقتصراً على فن واحد من الإبداعات، وإن كان حسناً في نفسه لم يحسن؛ لأن ذلك مؤد إلى سامة النفس فإن شيمتها الضجر مما يتردد، والولع بما يتجدد»⁽¹⁾، وبذلك للمتكلم في التلوينات الصوتية تطرية لنشاط السامع، وتجديد لفكره، وإيقاظ للإصغاء إليه.⁽²⁾

كانت هذه صورة نظرية موجزة بشأن أثر التلوينات الصوتية في التواصل اللغوي، ويبقى كل ما سبق ذكره قاصراً لبيان حيوية وفعالية هذا الأثر وتعدد أشكاله إذا لم نتبع مختلف صور التلوين الصوتي وهي تعانق مستويات اللغة وتفصيلاتها.

وفيما يستقبل من هذه الدراسة، سأضطلع على المستوى التركيبي بإبراز وظيفة التقديم والتأخير في معالجة الأساس البنيوي للجملة داخل سياق التواصل اللغوي من خلال نماذج

مختارة، أما على مستوى الأسلوب فنسلمح المظاهر الجمالية والبلاغية المتولدة عن معانقة التنغيم لبعض النماذج التواصلية.

1- في المستوى التركيبي: أثر التقديم والتأخير في التواصل اللغوي.

حظي التركيب وانسجامة بعناية اللغويين العرب القدماء، على أن يكون بعضه أخذاً بأعناق بعض، ذكر صاحب الصناعتين: «كان أكثرهم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه: أوصلوا بين كل منقضي معنى، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً ببعضه ببعض»⁽³⁾، فنجد دراسات النجاة تهدف إلى تعيين الوظائف النحوية التي تؤذيها عناصر التركيب انطلاقاً من العملية الإسنادية، وإذا كان منهج البعض منهم يقتصر على اجتزاء التراكيب، وتسليط الأضواء عليها بمعزل عن السياقات العامة، كاهتمامهم بالمقدم دون المؤخر، فذلك لأن شغلهم كان بالدرجة الأولى هو المحافظة على النمط الشكلي للتركيب، لاسيما عند من تصوّر نماذج، وشواهد ينبغي التقيد بها والقياس عليها، فمثلاً لا يوجد ما يسوّغ ترجيح النحاة (زيد ضربته) على (زيداً ضربته) لأن هذا الحكم كان بمعزل عن السياق والغرض المقصود لدى المتكلم، فإذا بنى المتكلم كلامه على التوكيد (زيداً ضربته) أرجح، وإن بناه على الإخبار (زيداً ضربته) أرجح⁽⁴⁾، وليس إيراد هذا المثال انتقاصاً من جهود النحاة، وإنما إشارة إلى أن التأويلات التي تفرضها الصياغة اللفظية للجملة وفق مقتضيات النحو قد لا تخدم الدلالة، وبالتالي تستغرق السامع، وتؤجل فهمه للرسالة، فتبطل أو توقّف السيرورة التواصلية.

أما البلاغيون فقد اتجهوا من خلال موضوع التقديم والتأخير إلى بيان الجمال الفني والإبداعي من جهة، وما يتضمّنه من دلالات وأغراض يخرج إليها الكلام من جهة ثانية مسترشدين بجهود النحاة في ذلك، في حين نجد اهتمام المفسرين منصباً على دراسة أساليب، وطرائق التعبير، حيث يمثل التقديم والتأخير لونا من ألوان التعبير في القرآن الكريم مما حصل به الإعجاز والتّحدي.

حسبنا فيما تقدم أن تقديم أيّ عنصر أو تأخيره عن رتبته الأصلية في الجملة لا يرد اعتباراً، لهذا لا بدّ على المتكلم أن ينطق بالمرسلة اللفظية، بوحداتها الصوتية الدالة منها، وغير الدالة وفق ترتيب معيّن، وكيفية مخصوصة يمكنه من بلوغ مقصده، والتأثير في سامعيه، وعلى السامع أن يكون متمكناً مما جرى به العرف لدى مجتمعه اللغوي، وفيما يلي نماذج تواصلية نحصر بها الدلالات التي يمكن أن يخرج به التقديم والتأخير.

أولاً: تقديم المسند إليه: الأصل في المسند إليه التقديم، لأنه محكوم عليه، والحكم مؤخر، ويخرج تقديمه بدلالات عدّة، منها:

أثر التلوين في التواضع اللغوي

مجلة نصل (الطاب

1- الدلالة على العموم: ويكون ذلك بتقديم لفظة من ألفاظ العموم على أداة نفي، كأن يقول المتكلم: (كلّ صدوق لا يكذب)، ويسمّي البلاغيون هذا النوع بـ"عموم السلب" (5)، فالمثال أفاد عدم كذب أي أحد صدوق، فقد عمّم النفي، وبذلك ينتفي لدى السامع كذب الصدوق، وقد تكون الدلالة على العموم بتقديم أداة النفي على لفظ العموم لفظاً، أو تقديراً، ويسمّي هذا النوع بـ"سلب العموم" (6)، فمثال التّقدّم لفظاً (ما كلّ رأي الفتى يدعو إلى رشد)، فالمعنى على نفي عموم الرّشد عن رأي الفتى يفيد أنّ بعض رأيه رشد، أمّا التّقدير في مثل (هل قلت أنا هذا الكلام؟) لدلالة الاستفهام على النفي والإنكار، وخلاصة ما تقدّم عن دلالة العموم بنوعيه: «أنك إذا أدخلت كلاً في حيز النفي، وذلك بأن تقدّم النفي عليه لفظاً أو تقديراً فالمعنى على نفي الشّمول عن الفعل والوصف نفسه... وإذا أخرجت كلاً في حيز النفي، ولم تدخله فيه لا لفظاً ولا تقديراً كان المعنى على أنك تتبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها واحداً واحداً، والعلّة في أن كان ذلك كذلك أنك إذا بدأت بكلّ كنت قد بنيت النفي عليه، وسلّطت الكليّة على النفي أعملتها فيه، وإعمال معنى الكليّة في النفي يقتضي أن لا يشدّ شيء عن النفي فاعرفه» (7).

2- المدح والافتخار: يستدعي كلّ منهما تقديم المسند إليه أي الممدوح أو المفتخر به، «وذلك لأنّ شأن المادح أن يمنع السامعين من الشكّ فيما يمدح به، ويباعدهم عن الشبهة وكذلك المفتخر» (8)، فمن المدح قولنا: (محمّد عليه الصلّاة والسّلام-أفضل الخلق)، ومن الافتخار (أنا جزائري) في قول من يفتخر بانتمائه إلى الجزائر.

3- الاستغراب والمفاجأة: وتكون إمّا بنفيها أو إثباتها، كقولك: (إنك تقول ما لا تقدر على فعله) لمن أظهر أنّه يعد بفعل كذا وكذا، وهو لا يقدر، وقولك: (أنت تعلم ما أقصده) وذلك إذا أردت أن تنفي شكاً توقّعتة في نفس المخاطب لتؤكّد حكماً بدله.

4- تعجيل المسرة والتّفاؤل: كقولك (المفتاح ببابك)، (عطاؤك ممنوح ورزقك مضمون) ما يدعو السامع إلى التّفاؤل وترقّب البشري.

5- تعجيل الشؤم والتطير: مثل له القزويني (ت739هـ) بقوله: (السّفاح في دار صديقك) (9).

6- التّشويق: وذلك بتقديم عنصر أو أكثر يثير انتباه السامع إلى ما سيلقي عليه:

ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لَهَا إِيَابٌ الْوَقْتُ وَالْجَمَالُ وَالشَّبَابُ

حيث تقدّم المسند إليه (ثلاثة)، وتوصّف بصفة غريبة (ليس لها إياب) تشوّق نفس السامع إلى معرفة الخبر الذي يليها، وربّما أثارت تساؤلاً قبله لديها (ما هذه الثلاثة التي ليس لها

إياب؟) حتى إذا جاء المسند وهو الخبر (الوقت و الجمال و الشباب) زالت الغرابة، واطمأنت النفس.

7- الإنكار والتعجب: وتكون في التراكيب المبنية على الاستفهام والتّفي، ففي سياق الاستفهام يرى الجرجاني (ت471هـ) أنه إذا بدأت بالفعل أي بالمسند فقلت: (أفعلت هذا؟) كان الشكّ في الفعل نفسه، وكان الغرض أن تعلم وجوده، وإذا قلت: (أأنت فعلت هذا؟) كان الشكّ في الفاعل، من هو؟ وقياساً على ذلك ضرب أمثلة متعدّدة: (أأنت بنيت هذه الدار؟) - (أأنت قلت هذا الشعر؟) - (أأنت كتبت هذا الكتاب؟). البدء هنا بالاسم أي المسند إليه يفيد الشكّ في الفاعل من هو؟ لأنّ تقديم الاسم يشعر السّامع، بأنّه هو المشكوك فيه، وليس الفعل، أمّا في مثل: (أبنت الدار التي كنت على أن تبنيها؟) - (أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟) فالسؤال هنا عن الفعل نفسه فهو مدار الشكّ.⁽¹⁰⁾ وتظهر هذه الدلالة بوضوح أثر انسجام التّركيب عند التّقديم والتّأخير كمظهر من مظاهر التلوين الصّوتي في استقامة المعنى في كون المتكلّم يجب عليه توخي الدقّة، ففساد أن يقول في الشّيء المشاهد الذي هو نصب عينيه، أوجود أم لا؟

8- التّوكيد والتّخصيص: فمن التّخصيص قولك: (أنا كنت في حاجة فلان) و (أنا سعيت في مصلحتك) إذا أردت التّأكيد لإماطة شبهة خالجت نفس السّامع، وهي أنّ الفعل صدر من غيرك، وقلت ذلك لمن أراد أن ينفي عنك السّعي، أو يسنده إلى غيرك.

9- تقرير الحكم وتوكيده: كما في قوله: (هو كريم جواد)، يريد المتكلّم هنا تقرير هذا الحكم في ذهن السّامع وتوكيده لديه.

10- التبرّك بالمقدّم: كقوله (محمّد النبي - صلّى الله عليه وسلّم - رسول الحقّ...).

11- كون المقدّم محلّ الإنكار: كقول: (لعب وشيّب، إنّ ذا لعجيب؟)

12- التدرّج في الحسن أو القبح وما شاكلهما: كقوله: (نواة ثمّ زرع ثمّ نخل)، وقوله: (أصحيح ومفصح وبلغ؟) فالصّحّة مقدّمة على الفصاحة، وتليهما البلاغة.

ثانياً: تقديم المسند: الأصل في المسند التّأخير، لأنّه حكم على شيء، وهو مؤخر طبعاً، لكن قد يتقدّم لدواعٍ دلالية منها:

1- كونه ممّا له الصّدارة في الكلام: نحو: (أين زيد؟).

2- التّفاؤل: نحو: (عند شروق الشّمس لقاءنا).

3- التّعظيم: كقول المتكلّم (معجب كلّ فتى بوالده).

4- المدح: نحو: (كريم علاء الدّين عند الملمّات).

5- الدلالة على الدّم: نحو: (بئس أخو القوم الذي أن يحضر).

6- الترحّم: نحو: (مسكين أبوه لدى المجاعة).

7-الدعاء: كما في قوله: (بغير رجعت من السفر).

8-المسرة: (لله درك).

كانت هذه أهم الأغراض الدلالية والبلاغية التي يستفاد منها من تقديم أو تأخير كل من المسند والمسند إليه، ولا غرابة أن نجد هذه الأغراض قد تتكرر في دراسة عناصر أخرى، كرتب متعلقات الفعل، وهي: « المفعول به، والجار والمجرور، والظرف، والمفعول المطلق، والمفعول معه، والمفعول لأجله، والحال، والتميز في أحوال نادرة »⁽¹¹⁾، أو في دراسة أساليب الاستفهام والشروط، والقصر، والاستثناء، فإن ذلك راجع إلى كون التقديم والتأخير تلويناً صوتياً يثبت القدرات الهائلة التي تتمتع بها اللغة، بحيث يتيح للمرسل المتكلم التعبير بدقة عن مختلف أغراضه ومقاصده بشئى الوسائل والطرق، ويجعل الرسالة بتراكيبها تمتاز بالمرونة من حيث ترتيب عناصرها، ويمكن المستقبل السامع من إدراك فعوى الرسالة على الوجه الدلالي الذي يبتغيه مخاطبه.

2- في مستوى الأسلوب: أثر التنغيم في التواصل اللغوي

إن اللغويين العرب عند استنباطهم لقواعد اللغة العربية لم يهملوا أهمية التنغيم، فقد اعتمدوا على مشافهة الفصحاء و السماع منهم، وارتبط الموضوع لدى القراء بقيمة الإلقاء والقراءة القرآنية، أما عند الأدباء، فبعضهم يعتمدون إلى التمثيل لمعانيهم بأصوات تمثل تشكياً له علاقة بالمحتوى، وليس معنى هذا أن العرب لم يدركوا قيمة التنغيم في غير النحو، والقراءات القرآنية، والأدب، كيف وقد كانت الخطابة من أشرف مواقفهم، وكذلك كان الشعر وإنشاده، كما أثر عنهم أنهم يعتزون بفصاحة الإلقاء، وينوّهون بفصاحة الفصحاء.

لعل من أشهر دارسي التنغيم من القدماء و المحدثين العرب الدكتور ابراهيم أنيس الذي يرى أن التنغيم هو موسيقى الكلام « لأنّ الإنسان حين ينطق بلغته لا ينبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد، تختلف في درجة الصّوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها... ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصّوت بالنغمة الموسيقية »⁽¹²⁾، ويعرّفه الدكتور تمام حسان بأنه: « ارتفاع الصّوت وانخفاضه أثناء الكلام »⁽¹³⁾.

من القراءة الأولى لهذين التعريفين نفهم أنّ للتنغيم وظيفة أدائية (صوتية جمالية) تقوم على أساس المراوحة بين درجات الصّوت ما بين عالية ومنخفضة ومستوية، تتناسق وتتناغم لتؤدّي رسالة صوتية منسجمة، لكن للصوت ثنائيات أخرى غير الارتفاع والانخفاض، فالتنغيم إذن أوسع من أن يحصر في هذا، فهو مجموعة معقدة من طرق الأداء

الصوتي بما يحمل من نبرات، وفواصل صوتية، وتتابعات مطردة للسكنات والحركات، وغير ذلك مما تتم به الرسالة الصوتية ويميز دلالتها.

إن ربط التنغيم بالتغيمات الموسيقية، ولحن الكلام يوحى بالارتباط الوثيق الذي يجمع التنغيم بالجمال الفني، وما يوقعه من تأثير في نفس المتلقي السامع ووجدانه، وعند ذلك في ترائنا العربي وقفات مآحة، فالفارابي (ت339هـ) مثلاً قسّم الألحان الإنسانية على ثلاثة أصناف: « صنف يكسب النفس لداذة، وصنف يفيد النفس في التخيل والتصوّر للأشياء، وصنف يكون عن الانفعالات، وعن أحوال مؤذية... »⁽¹⁴⁾.

إن الوظيفة الأدائية للتنغيم، والمتمثلة في انسجام عناصر الرسالة الصوتية، ووضوحها وجمالها ترتبط بالمتكلم الناطق حسب نظم الأداء في اللغة، وحسب ما يقتضيه العرف عند أهلها، وتبعاً لهذه الوظيفة ترتبط الآثار النفسية بالمتلقي السامع، وحتى بالمتكلم الناطق نفسه. كما أنّ للتنغيم وظيفة دلالية حيث يتمّ به معرفة المعاني المختلفة، والتفريق بين أسلوب وآخر ليتمّ بذلك تمييز مقاصد المتكلم وأغراضه، وفي هذا الشأن يرى الدكتور أحمد مختار عمر أنّ التنغيم هو الذي يغيّر الجملة من خبر إلى استفهام، إلى توكيد، إلى انفعال، إلى تعجب في شكل الكلمات المكونة⁽¹⁵⁾، ممّا يقرب معنى الرسالة الصوتية إلى ذهن السامع ويكشف عن مضمونه، وهو بذلك يقوم بدور دلالي كبير يساعد في تفسير الجملة تفسيراً صحيحاً، ويعدّ قرينة صوتية كاشفة عن اختيار المتكلم لنوع معين من أنواع التفسير التحوي الدلالي، وهو المسؤول في كثير من الأحيان عن تحديد عناصر الجملة المكونة له.⁽¹⁶⁾

وفيما هو آت رصد تمثيلي لأثر التنغيم في التواصل اللغوي بإدراج مستوياته اللحنية، ووظائفه في التعبير عن بعض المعاني النفسية والتحوية، وخروج الكلام به من أسلوب إلى آخر، وثمة أمثلة تخلص من الأدوات ولكتّها في الحقيقة أساليب لها دلالات واضحة، والفيصل في ذلك هو التنغيم كما سنرى:

بعد صدور نتائج امتحان البكالوريا التقيت بصديقك فجرى هذا الحوار بينكما:

- نجحت في الامتحان. ___ جملة خبرية، تخبر الصديق بنغمة هابطة (منخفضة).

- نجحت في الامتحان! ___ جملة تعجبية انفعالية، يخبرك الصديق بأنك نجحت، فتردد

الجملة متعجبا.

- نجحت في الامتحان؟ ___ جملة استفهامية بنغمة صاعدة (عالية).

- نجحت في الامتحان... ___ إذا لم تكن تظنّ أنّك ستنجح، وأردت السخرية من نفسك.

- نجحت في الامتحان... ___ استغراب ودهشة.

أثر التلوين في التحويلات اللغوية

هذا المثال يبيّن اختلاف المعنى باختلاف المستويات اللّحنية للتّغيم بين منخفضة وعالية ومستوية.

مما جاء خبراً وفيه معنى الأمر ما نقله سيبويه (ت180هـ) في باب الحروف الّتي تنزل منزلة الأمر والتّهيّ - بقوله: «... ومثل ذلك: اتقى الله امرؤ، وفعل خيراً يثب عليه، لأنّ فيه معنى: ليتق الله امرؤ، وليفعل خيراً»⁽¹⁷⁾. وقد تكون لصيغة الأمر دلالات أخرى يخرجها التّغيم، فمثلاً الفعل (أخرج) قد يكون زجراً وتوبيخاً، وقد يكون طلباً، وقد يكون رجاءً.

الجملة الاستفهامية قد تخرج عن معناها، وتحمل معاني أخرى كالّتوبيخ والإنكار إثر تنغيم خاصّ، مثل المبرّد (ت286هـ) لهذا بقول المتكلم: (أقياما وقد قعد الناس؟)⁽¹⁸⁾، لم يقل هذا سائلاً، ولكن توبيخاً لما هو عليه، فبالّتنغيم تجرّدت الجملة من معنى الاستفهام، مع توافر قرينة الاستفهام اللفظية (الهمزة) إلى التوبيخ، ومنه قولك (أعربياً مرّة، وغريباً أخرى)، وإنّما هذا أنّك رأيت رجلاً في حال تلوّن وتحوّل، كأنك قلت: (أتحوّل عربياً مرّة، وغريباً أخرى؟)، فأنت في هذه الحال تعمل على توبيخه، ولست تسأله مسترشداً في أمر أنت جاهل به، ليفهمه إيّاك، ويخبرك عنه.

أحياناً يكون الاستفهام باستعمال الأداة غير مطمئن، ومثاله عندما تدخل همزة الاستفهام على همزة في نحو: (أ الغلام أخوك؟)، تقول (أ الغلام أخوك؟) بحذف همزة الوصل، وكان ينبغي ذلك، لكن بحذفها يلتبس في هذا التّركيب الإخبار بالاستفهام، ويكون التّغيم الخاصّ بهذين المعنيين كفيلاً بإزالة اللّبس.

كثيراً ما يحذف مكوّن من مكوّنات الجملة، ليقوم التّغيم مقامه ومن ذلك حذف الصّفة في قولك: (سألناه فوجدناه إنساناً...!) وتمكّن الصّوت بإنسان وتفخّمه، وتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً، أو جوداً، أو نحو ذلك، وكذلك إن ذمته ووصفته بالضّيق قلت: (سألناه فوجدناه إنساناً!) وتزوي وجهك وتقطّبه، فينبغي ذلك عن قولك: إنساناً لثيماً أو نحو ذلك، ومنه كذلك قولك في مدح إنسان والثناء عليه: (كان والله رجلاً... فتزيد في الضّغط على لفظ الجلالة، وإطالة الصّوت باللام فيها، أي: رجلاً فاضلاً أو كريماً، أو شجاعاً، ونحو ذلك)⁽¹⁹⁾.

وعلى ذكر لفظ الجلالة، يذكر الدّكتور محمود السّعمران أنّه ينطق في العامية المصرية بصور كثيرة، لكلّ منها معناها، فعندما يريد المتكلم التّعبير عن المعبود الواحد ينطقه بصورة مخالفة حين يستعمله لإظهار الإعجاب، وقد يكون نطقاً ثالثاً يختلف عمّا سبق، ويكون مرادفاً لـ (أيصحُّ هذا؟!)⁽²⁰⁾.

و للتّغيم دور مهمّ في تنظيم عناصر الرّسالة الصّوتية قد يساعد المتكلّم في مرحلة التّوليد قبل إصدارها، لاسيما عند التّجميع والانتقاء، ومن ذلك مدّ الألف عند التّذكّر، نحو قولك: (أخواك ضرباً...) إذا كنت متذكّراً للمفعول به، أو الظّرف، أو الحال، أو نحو ذلك، وكذلك تمطل الواو نحو (ضربوا زيّدا)، أو (ضربوا يوم الجمعة)، أو (ضربوا قياما)، فكنت عند التّذكر كالنّاطق بما تستذكر، وصار المستذكر هو الملفوظ به، وعند التّذكر يرتفع الصّوت ويزيد، وذلك يعني من المتكلّم أنّه في حال استذكار، وأنّ رسالته الصّوتية لم تنته، والدّلالة لم تكتمل بعد.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص61، محمد الحبيب بن الخواجة، دار العرب الإسلامية، ط1، بيروت، 1986م.
- 2- ينظر: تلوين الخطاب في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، ص19، طه رضوان طه رضوان، إشراف: عبده علي الرّاجعي، ومحمّد بدري عبد الجليل، دار الصّحابة للتراث، طنطا، ط1، 2007م.
- 3- لسانيات النص، محمد خطابي، ص98-99، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت و الدار البيضاء، 1991م. (نقلا عن: كتاب الصّناعتين، أبو هلال العسكري، ، الكتابة والشعر، ص449).
- 4- ينظر: أساليب التّوكيد من خلال القرآن الكريم، أحمد مختار البرزة، ص52-56، مؤسسة علوم القرآن، ط1، دمشق، 1985م.
- 5- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج2 ص78، هامش، شرح وتعليق، محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، مصر، 1984م.
- 6- ينظر: نفسه، ج2 ص74.
- 7- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص219-220، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1422هـ/2002م.
- 8- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 215.
- 9- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج2 ص51.
- 10- ينظر: دلال الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص100.
- 11- البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ج1 ص381، دار القلم، ط1، دمشق، 1996م.
- 12- الأصوات اللّغوية، ابراهيم أنيس، ص124، مكتبة الإنجلو المصرية، ط4، القاهرة، مصر، 1971م.
- 13- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص64.
- 14- الموسيقى الكبير، الفارابي (ابن نصر بن طرخان)، ص62، 63، تج: غطاس خشبة، مراجعة وتصدير: الحنفي، دار الكاتب العربي، القاهرة.
- 15- ينظر: دراسة الصّوت اللّغوي، أحمد عمر مختار، ص130، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1976م.

- 16- ينظر: التحوو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، عبد اللطيف محمد حماسة، ص117، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1420هـ/2000م.
- 17- الكتاب، سيبويه، ج3 ص100، تح: عبد السلام هارون، مط: عالم الكتب، ط1، بيروت، لبنان، 1966م.
- 18- المقتضب، المبرّد، ج3 ص228، تح: عبد الخالق عزيمة، مط دار التحرير، القاهرة، 1338هـ.
- 19- الخصائص، ابن جني، ج2 ص371، تح: محمّد علي النّجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ط2، مصر، 1371هـ/1952م.
- 20- علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، محمود السّعران، ص 105، دار التّهضة العربية، بيروت، لبنان.